منهج الدراسة الموضوعية للحديث وعلاقته بالتاريخ

فراس محمد إبراهيم [1]

الملخّص

تعد الدراسة الموضوعية للحديث النبوي إحدى أهم المناهج الحديثة لدراسة الحديث، ومن بين الموضوعات المهمة بيان علاقة هذا المنهج بعلم التاريخ، والدراسة الحالية تسلط الضوء على ارتباط علم الحديث بعلم التاريخ وقسمته على النحو الآتي: المبحث الأول: مفهوم منهج الدراسة الموضوعية وأهميته، المبحث الثاني: التاريخ في عصر المحدثين نشأته وأهميته، المبحث الثالث: علاقة منهج الدراسة الموضوعية بالتاريخ، ومن خلالها سيتبين لنا أهمية اختيار المنهج الموضوعي لإجراء الدراسات المتعلقة بمتون الأحاديث والبحث باستخدام هذا المنهج في موضوع ما، وكيف نشأ التاريخ عند المسلمين في أحضان علماء الحديث وكيف كان التاريخ والحديث شيئاً واحداً، وكيف يستخدم علماء الحديث التاريخ ابتداءاً من نقد الأحاديث ومروراً بمعرفة وقت وسبب ورو دها وصولاً إلى معرفة السيرة النبوية التي تمثل حقبة معينة من التاريخ.

الكلمات المفتاحية: علوم الحديث، الدراسة الموضوعية، السنة النبوية، مناهج دراسة الحديث

[1] أستاذ الحديث المشارك في الجامعة الخليجية – مملكة البحرين. <drfmim@gmail.com>

The method of objective search of hadith and Relevancy to history

Firas Mohammed Ibrahim [2]

Abstract

The method of objective search of hadith is one of the most important modern approaches to the study of hadith, Among the important topics is a statement of the relevancy of this curriculum with the science of history, the current study spot light on the relevancy between modern science with history.divided as follows: The first requirement: the concept of the method of objective search of hadith and its importance, the second requirement: history in the era of Hadith scholars, its origin and importance, the third requirement: the relevancy of the curriculum The objective study of history, and through it we will see the importance of choosing the objective approach to the study of hadith Research through the objective study of hadith on a subject, how history arose among Muslims in the arms of hadith scholars and how history and hadith were one thing, and how hadith scholars use history starting from criticism of hadiths And through knowing the time and reason for its arrival, to knowing the Prophet's biography, which represents a specific era in history, and what are the stages of objective study of any hadith and how it is integrated.

Keywords: hadith sciences, objective study, prophetic Sunnah, hadith study methods

[2] Associate Professor - Gulf University – Bahrain drfmim@gmail.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإن منهج الدراسة الموضوعية للحديث يجمع بين العمل لإظهار الصورة الناصعة للسنة النبوية وتثبيت الإسلام رسالة وكياناً وشريعة ونظاماً، والعمل للارتقاء بالمجتمع الإسلامي علمياً وحضارياً، ويتطلب هذا المنهج الصلة العلمية المتينة بين سعة الاطلاع في العلوم الإسلامية، وسعة الاطلاع في العلوم الأخرى، فالمدنية المعاصرة تتميز بتقدم هائل في العلوم لم تكن تخطر ببال المجتهدين القدماء، بينما تفتح للمجتهدين المعاصرين آفاقاً واسعة تتطلب منهم خبرة غزيرة بأصول الدين والشريعة، وخبرة واسعة بالتطورات الحاصلة في ميادين المعرفة النظرية والتطبيقية المختلفة، هاتان الخبرتان المتكاملتان اللتان لا تنفصلان في منهج الدراسة الموضوعية للحديث في عصرنا هذا، وبذلك تبرز حتمية ذلك الترابط المنهجي عن طريق الإرشاد والاسترشاد بين الاختصاص في العلوم الإسلامية والاختصاص العلمي التطبيقي والإنساني.

والبحث من خلال منهج الدراسة الموضوعية للحديث في موضوع ما، إنما يعني البحث في مجموعة من العلوم، تلتقي عندها جميع أنواع صور المعرفة المتعلقة بالموضوع، ولذا فإن منهجية النقد والتحليل تعني التقاء جميع أنواع صور التحليل المعرفي للموضوعات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتلك نتيجة طبيعية تتعلق ببنية المنهج ذاته، وبالتالي فإن التحليل لابد وأن يتطرق إلى جميع النواحي التي تتعلق بالموضوع.

فعند النظر في الأحاديث النبوية الشريفة نجد أن موضوعاتها ليست بمعزل عن موضوعات العلوم الأخرى، بل كلاهما يتبادل التأثير، ويستفيد كلٌّ منهم من الآخر فيما من شأنه الوصول إلى الصواب والحق، وإسعاد البشرية.

ومن بين العلوم التي ترتبط ارتباطاً وثيقا بالحديث وتفسيره؛ علم التاريخ بل إن بعض أقسامه كالسيرة النبوية تعد جزءاً لا يتجزأ من الحديث فهي تعرض مراحل حياة النبي صلى الله عليه وسلم من يوم مولده، بل وقبل ذلك، وحتى وفاته عليه الصلاة والسلام، وحسن فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراده منه لا يتأتى إلا بالإحاطة بالتفاصيل التاريخية للأحداث المصاحبة للحديث النبوي، وإهمال ذلك والعدول عنه ينتج عنه سوء فهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا ينبغي للباحث في الحديث تجاوز العلاقة بين الحديث والتاريخ فهي عونه في فهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فالحديث لا بد أن يفهم في ضوء تاريخه الذي به يعرف الباحث سبب ورود

الحديث وهو ما يحتاجه كل باحث في الحديث.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على علاقة منهج الدراسة الموضوعية للحديث وهو أحد فروع علم الحديث بعلم التاريخ وأهميته لهذا المنهج، أما أهمية الدراسة فتأتي من كونها تبين ارتباط علم الحديث بالعلوم الأخرى وبالمجتمع وواقعه المعاش.

أما مشكلة البحث فتتلخص في الحاجة إلى التعرف على أفضل منهج لدراسة متون الحديث النبوي الشريف، بطريقة تربط المتون بموضوعات محددة وبقضايا معاصرة، وبالتالي تسمح للقارئ غير المختص بالعلوم الإسلامية التمكن من الإحاطة بجوانب الموضوع دون خوضه في مصطلحات حديثية ربما يجهل أكثرها.

وجاءت هذه الورقة البحثية مساهمة متواضعة في هذا المجال، جعلتها بعنوان: «منهج الدراسة الموضوعية للحديث وعلاقته بالتاريخ»، قصدت بذلك التأكيد على أهمية منهج الدراسة الموضوعية للحديث وارتباطه بعلم التاريخ، وقد انتظمت هذه الورقة بعد المقدمة في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم منهج الدراسة الموضوعية وأهميته.

المبحث الثاني: التاريخ في عصر المحدثين نشأته وأهميته.

المبحث الثالث: علاقة منهج الدراسة الموضوعية بالتاريخ.

أرجوالله عز وجل أن يمن علي بالتوفيق وأن يحقق البحث أهدافه ويبلغ المراد منه، إنه ولي التوفيق.

المبحث الأول

مفهوم منهج الدراسة الموضوعية وأهميته

المطلب الأول: مفهوم منهج الدراسة الموضوعية:

تعد قضية المناهج البحثية من القضايا المهمة في العصر الحديث، وقد شغلت هذه القضية بال العلماء والباحثين في مختلف العلوم وشيّد تحت اسمها مدارس، واستنفذت الكثير من مجهودات الباحثين[3]. ومن بين هذه العلوم علم الحديث بفروعه ومنها شرح الحديث وتفسيره، فقد تعددت فيه المناهج وبرز منها في العصر الحديث منهج الدراسة الموضوعية.

وقد وردت تعريفات مختلفة للدراسة الموضوعية للحديث اتسم غالبها بالوصف، ولعل أفضل وآخر تعريف للحديث الموضوعي ما توصل إليه الدكتور خالد الشرمان، فعرفه تعريفاً عاماً وآخر خاص، أما التعريف العام فهو: "دراسة علمية لموضوع معين بالاعتماد على حديث النبي صلى‌الله عليه وسلم، أو هو بيان موضوع ما في السنة النبوية"[4].

وأما التعريف الخاص للحديث الموضوعي، فهو: "بحث علمي لموضوع ما، من خلال الحديث المقبول، للوصول إلى الهدي النبوي، وتطبيقه في الواقع"[5].

ويلاحظ من التعريفين ما يأتي:

1. المحور الأساسي الذي تدور عليه الدراسة الموضوعية هو حديث النبي صلى‌الله عليه سلم.

2. تعتمد الدراسة الموضوعية على الأحاديث المقبولة الصحيح منها والحسن، ولا تعتمد على الحديث الضعيف، مع أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال عند كثير من أهل العلم، ولكن الدراسات الموضوعية لعلوم الحديث تعتمد على الحديث المقبول بقسميه، فغالبا ما تتصل الدراسة الموضوعية للحديث بقضايا علمية تخص موضوعات مختلفة تنتمي لعلوم أخرى غير العلوم الإسلامية.

3. تهدف الدراسة الموضوعية إلى تطبيق السنة النبوية في حياة الناس العملية، وتعمل على تفاعل المجتمع مع سنة النبي صلى‌الله عليه وسلم، لذا فهي تخاطبهم بأسلوب وطريقة تتوافق مع العصر الذي يعيشون فيه.

المطلب الثاني: منهج الدراسة الموضوعية:

---

[3] ينظر: صمدي، رضا أحمد، **منهج المحدثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم**: ص2.

[4] الشرمان، خالد محمد محمود، **الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية**: 21.

[5] ينظر: **المصدر نفسه**.

حدد الدكتور رمضان إسحاق الزيان[6] المناهج المتبعة للدراسة الموضوعية للحديث من خلال استقرائه لجهود المتخصصين في الحديث الشريف وعلومه وبحوثهم المتعلقة بالدراسات الموضوعية للحديث فوجد أنها تدور في ثلاثة مناهج[7]

الأول: يرتكز على جمع أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي وردت كتب السنة النبوية كافة عن موضوع البحث أو الدراسة، بعد ذلك يربط الدارس أو الباحث بين موضوعات الأحاديث بواقعنا المعاصر ليعالج بذلك قضايا مجتمعه بطريقة شمولية مع تبسيط وتسهيل عملية تطبيق السنة بأسلوب معاصر وبشكل علمي.

الثاني: يرتكز على جمع عدد من الأحاديث من مصادر حديثية محددة كالكتب الستة أو الصحيحين فقط أو غير ذلك من اختيار الباحث، بشرط أن تفي الأحاديث المختارة بغرض شرح أبعاد موضوع معين ليصل إلى نتائج تسهم في استيعاب أبعاد موضوعات السنة النبوية ليساعد على تطبيقها في واقع الحياة العملية.

الثالث: يبحث في توضيح وشرح موضوع محدد بواسطة جمع روايات حديث واحد يكون محورالبحث والدراسة بحيث يستوعب إلى جانب تحليل الحديث الشريف ونقده دراسة موضوعية وربطه بالواقع المعاصر.

المطلب الثالث: أهمية الدراسات الموضوعية:

برزت في الآونة الأخيرة الحاجة الماسة إلى التجديد الذي يعمل على ربط السنة النبوية ونصوصها بالواقع المعاصر وقضاياه، وتظهر علاقة النصوص الحديثية بالعلوم الأخرى، مع أن أصل النصوص ثابت ومد ون في كتب الحديث، لكن لأن النظريات والمناهج الحديثة التي أطلقها وسوق لها غير المسلمين، بل وأجبروا الناس على التعامل معها كثيرة؛ فلا بد والحالة هذه من إعادة النظر في عرض السنة النبوية بطريقة تواكب هذه النظريات والمناهج، ثم لا بد من إظهار الصور الناصعة للسنة النبوية وهي تتعامل وتتحاور بالحكمة والموعظة الحسنة مع غير المسلمين، بل حتى مع المسلمين الذي وقعوا تحت تأثير نظريات جعلتهم يرفضون كل قديم، حتى لو كان ذلك القديم نصوصا يبنى عليها الدين، ولا شك أن في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من التعليمات والأدلة ما يصلح لكل زمان ومكان.

---

6 أستاذ الحديث وعلومه المشارك في قسم الدراسات الإسلامية ورئيس لجنة الإفتاء الشرعي – جامعة الأقصى.

7 ينظر: الزيان، د. رمضان، **الحديث الموضوعي دراسة نظرية**: 226-227.

إن دراسة الحديث دراسة موضوعية أمر في غاية الأهمية، لأن هذا النوع من الدراسات يجعل السنة النبوية متعايشة مع الواقع، وتستثمر نصوصها الحديثية في تقديم الحلول للعديد من المشكلات التي يواجهها المجتمع، فالدارس للحديث وفق هذا المنهج يظهر معناه بأوضح وأبهى صورة، ويظهر للمجتمع المنهج النبوي في مسألة ما من خلال ربط النص الحديثي بالواقع المعاصر، ليعالج قضية معاصرة ويناقش جوانبها بطريقة علمية.

فالدراسة الموضوعية للحديث تعالج قضية أو إشكالية تهم الفرد والمجتمع وتشغل الفكر، وتقلق واقع الحياة لما تتطلبه من حلول وتوجيهات، ومن خلال هذا النوع من الدراسات يتم التعرف على مقصد النبي صلى‌الله عليه وسلم في الموضوع بشكل شمولي[8].

وتعمل الدراسة الموضوعية للحديث على فهم التاريخ النبوي الذي كان وفقاً لمراد‌الله، من خلال طرحه بطريقة سلسلة تلامس حياة الناس وواقعهم المعاش.

ويمكن أن نجمل أهمية منهج الدراسة الموضوعية للحديث بالنقاط الآتية:

1. إن منهج الدراسة الموضوعية للحديث يتفق وروح العصر الحاضر الذي دائما ما تتجدد فيه حاجات المجتمع وتظهر فيه قضايا معاصرة حديثة، وتظهر فيه أفكار ونظريات في مجالات مختلة مع التقدم العلمي والتقني، فتأتي هذه الدراسات لتعطي رؤى وحلولاً صحيحة، وتخرج للناس أحكاماً عملية عامة تغنيهم عن اللجوء إلى القوانين الوضعية[9].

2. هذه الدراسات تسلط الضور وتبرز جوانب متعددة من الإعجاز في السنة النبوية الصحيحة وهو أمر يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن السنة النبوية وحي من عندالله تعالى وإن كان ذلك بالمعنى دون اللفظ، لا سيما وأن مثل هذا الإعجاز لا يستطيع البشر معرفته قبل قرون من الزمان إلا عن مصدر إلهي[10].

---

[8] ينظر: **الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية**: 195.

[9] 30 الموضوعي: التفسير في ، و/ مسلم، د. مصطفى، مباحث69 الموضوعي: التفسير في ينظر: الفرماوي، د. عبد الحي، البداية

[10] ينظر: **الحديث الموضوعي دراسة نظرية**: 215.

3. تعمل هذه الدراسات على المساعدة في تأصيل العلوم الشرعية الجديدة التي ظهرت في الفترات المتأخرة لتلبي حاجات المسلمين العلمية في مجالات المعرفة الإنسانية المختلفة مثل : الإعلام الإسلامي، وعلم النفس الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وغيرها[11].

4. يضاف إلى كل ذلك الفوائد العظيمة التي يقدمها هذا النوع من الدراسات لكلٍ من الدعاة والمختصين والباحثين، بل ولكل أفراد المجتمع المسلم من إحاطة كاملة بطريقة سهلة وميسرة بكل ما يتعلق بموضوع الدراسة في مكان واحد[12]

5. يعتني هذا المنهج بدراسة الأحاديث ضمن سياقها التاريخي والظروف المحيطة بها وإخراجها إخراجاً معاصراً.

المبحث الثاني

التاريخ في عصر المحدثين نشأته وأهميته

المطلب الأول: نشأة التاريخ في عصر المحدثين وعلاقته بعلم الحديث:

لم يكن التاريخ علماً مستقلاً – كما هو عليه اليوم – عند بداية العصر الإسلامي، كما أنه لم يكن مستقلاً عند الحضارات التي سبقت المسلمين خصوصاً الحضارة اليونانية التي صنفت التاريخ تحت إطار الفلسفة العام. وقد نشأ التاريخ عند المسلمين في أحضان علماء الشرع من محدثين وفقهاء ومفسرين، ولا يعني هذا أن علم التاريخ لم يكن موجوداً منذ بداية العصر الإسلامي فهو نشأ مبكراً، لكنه لم يسم بعلم التاريخ كما هو عليه اليوم بأبعاده المعرفية وباعتباراته الفنية[13].

وعن نشأة علم التاريخ يقول مرغليوث[14]: "تفرعت دراسة التاريخ من دراسة الحديث، ثم صار التاريخ فرعاً متميزاً تدريجياً"[15]، ولعل مرغليوث توصل إلى هذا الرأي من خلال ما ذكره العلماء الذين صنفوا في التاريخ عن شروط المؤرخ والتي لا تختلف عن صفات المشتغل بعلم الحديث، فالسخاوي ذكر

---

[11] ينظر: **المصدر نفسه**: 216.

[12] ينظر: **المصدر نفسه**.

[13] ينظر: **منهج المحدثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم**: 5-6.

[14] **مستشرق انجليزي (1858-1940)**.

[15] مرغليوث، **دراسات عن المؤرخين العرب**: 29.

ذلك واضحاً في كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ" حيث حدد شروطاً للمشتغل بالتاريخ عندما قال: "وأما شرط المعتني به: فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد الإتقان والتحري، سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الخطيب في جامعه: "ويجمعون . .. أي أهل الحديث . .. ما روي عن سلف المسلمين من أخبار الأمم المتقدمين وأقاصيص الأنباء وسيرهم" والذي نستحبه ألا يتعرض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحاديث رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم[16].

وهذا دليل واضح وجلي على أن التاريخ بصفته علم، نشأ في أحضان المحدثين وانطبقت عليه قواعدهم.

لقد كان التاريخ ملازماً للحديث ولا يشتغل به إلا مشاهير المحدثين، فعند النظر لقائمة أسماء أعلام ومشاهير المؤرخين التي عرضها المستشرقون أمثال مرغليوث في "دراساته عن المؤرخين العرب" وروزنتال في "علم التاريخ عند المسلمين" ثم الباحثون المسلمون أمثال حسين نصار[17] ومحمد عبد الغني حسن[18] وشاكر مصطفى[19] سنكتشف أن أكثر هؤلاء المؤرخين إن لم يكن جميعهم كانوا من جهابذة المحدثين، بل إن النجوم الزاهرة والمتلألئة في سماء تاريخ المؤرخين المسلمين لم تكن سوى نماذج واضحة لعلماء وأئمة الحديث في تلك العصور مثل محمد بن إسحاق والطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن الجوزي والذهبي وابن حجر والسخاوي[20].

إن مما لاشك فيه أن هناك تداخلاً كبيراً بين التاريخ وفروع علم الحديث المختلفة، خصوصاً طبقات الحديث التي يجمع العلماء على أنها من فروع علم الحديث، ومن يتتبع آراء العلماء حول هذا الموضوع يجد ذلك واضحاً في مصنفاتهم، فالسخاوي في كتابه الاعلان بالتوبيخ، يقول: " فائدتان: الأولى: قال العز بن جماعة: ومما يشكل ويحتاج إليه معرفة التفرقة بين علم التاريخ وعلم الطبقات ومعرفة الافتراق بين موضوعهما وغايتهما، قال: والحق عندي أنهما بحسب الذات يرجعان إلى شيء واحد وبحسب

---

16 في كتابه: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**: 107.

17 في كتابه: "**نشأة التدوين التاريخي عند العرب**".

18 في كتابه: "**علم التاريخ عند العرب**".

19 في كتابه: "**التاريخ العربي والمؤرخون**".

20 ينظر: **منهج المحدثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم**: 8.

الاعتبار يتحقق ما بينهما للتغاير، قلت – أي السخاوي–: بينهما عموم وخصوص وجهي، فيجتمعان في التعريف بالرواة وينفرد التاريخ بالحوادث والطبقات"[21].

وعلى الرغم من التداخل الحاصل بين الحديث والتاريخ والطريقة التي نشأ فيها، فلا خلاف اليوم في أن التاريخ هو علم مستقل له قواعده ومناهجه، وأن عدم استقلاليته في عصر المحدثين تعزى لطبيعة تصنيف العلوم في ذلك العصر، كما أن تصنيف العلوم يتطور في كل وقت وزمان فتظهر علوم بشكلها المست قل حديثاً على الرغم من جذورها القديمة، وهذه نتيجة تطور العلوم ففي زماننا الحاضر استقلت علوم مثل علم الاجتماع السياسي وعلم الاقتصاد السياسي وهذه علوم لم تكن مستقلة لوقت قريب.

ولقد كان المحدثون محقين وموضوعيين إلى أبعد الحدود عندما عدوا التاريخ علمهم هم وميدان عملهم والأداة التي لا غنى لهم عنها في عملهم والتي لا يمكن لأحد أن ينازعهم عليها، فهم الذين وضعوا مناهج البحث في هذا العلم بل هم الذين جمعوا مادة التاريخ لغيرهم وأرخوا لها[22].

وعلى هذا فإن التاريخ بصفته علما له منهجه الرصين في التثبت والتحقق صنيعة علم الحديث، والواقع أن التاريخ لم يكن إلا ميدانا من ميادين الحديث وعلومه، ولم يكن منهج النقد الدقيق فيه إلا منهج نقد المحدثين نفسه، أما مشاهير المؤرخين فهم غالبا لم يكونوا إلا رواة الحديث ونقاده.

المطلب الثاني: أهمية دراسة التاريخ:

إن دراسة التاريخ أمر رباني فالله عز وجل قال في محكم كتابه العزيز: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176]، فاستحضار التاريخ واستلهام القصص والعبر والدروس يجعل الإنسان يتدبر أموره ويفكر فيها ويعلمها على حقيقتها منتفعاً بتجارب غيره ممن سبقه مما ينتج عنه عملاً صحيحاً[23]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، [آل عمران:137].

ويكشف لنا التاريخ سنن الله عز وجل في الكون وهي قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾، [فاطر: 43]،

---

[21] ص: 80.

[22] ينظر: **منهج المحدثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم: 10**.

[23] ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**: 267/2، والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 413.

فسنةالله عز وجل وقوانينه جارية لا تتغير ولا تتبدل ودراسة التاريخ ومعرفته تعني معرفتنا بهذه القوانين وتد برها[24].

إن الأمة التي لا تقرأ تاريخها ولا تعتبر به فما مصيرها إلا إنتاج تاريخ قد يكون لغير صالحها، فالعاقل من اتعظ بغيره والجاهل من اتعظ بنفسه، وعلى هذا ليس أمامنا إلا دراسة التاريخ والاعتبار به.

إن التاريخ حوى كل أمور الحياة ونواحيها الماضية، والنبي صلى‌الله عليه وسلم عاش ضمن فترة زمنية شرع فيها للمسلمين دينهم، ودراسات الحديث تحاكي هذه الفترة وهذا التاريخ، وتعمل على نقل السنة وتطبيقها في واقعنا المعاصر، فالتاريخ الإسلامي يعين على فهم الدين خصوصاً تاريخ العهد النبوي لأنه كان مرحلة تشريعية.

ومن خلال التاريخ الموثق نعرف حقائق الأحداث والوقائع الماضية وتاريخ وقوعها، ومعرفة حال الأمم والشعوب وأسباب قوتها وضعفها، ونصرها وهزيمتها، وسعادتها وتعاستها، وعلمها وجهلها وغير ذلك من صفات الأمم والشعوب، كما يعرض لنا التاريخ الجوانب المشرقة في تاريخنا لنقتفي أثرها، ويعرض لنا أيضاً الجوانب السلبية لنتجنب الوقوع في مثلها، ففي دراسة التاريخ معرفة لأخطاء السابقين وهذا ما أرشدنا إليه الهدي النبوي، فعن أبي هريرة رضي‌الله عنه، عن النبي صلى‌الله عليه وسلم، قال: ((لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ))[25]، فالمؤمن إذا ناله الضرر من جهة وجب عليه تجنبها لئلا يقع في الخطأ ويصيبه الضرر مرة أخرى[26].

المطلب الثالث: تدوين السنة ونشأة علوم الحديث وعلاقتها بالتاريخ:

من المعلوم لأهل العلم أن السنة النبوية تأخر تدوينها، وبقي نقلها مقتصرا بالرواية الشفهية إلى القرن الثاني الهجري إذ بدأ تدوينها تدوينا رسميا في ذلك الوقت، لكن الاعتناء بها ورعايتها كان مستمرا منذ

---

[24] ينظر: **تفسير القرآن العظيم**: 562/3.

[25] متفق عليه. البخاري، **صحيح البخاري**: 2271/5 كتاب الأدب/باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا)، رقم (5782) ومسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم: 2295/4، كتاب الزهد والرقائق/باب في الفأر وأنه مسخ بالرقم (2998).

[26] ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: 530/10.

عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فالسنة النبوية مرت بمراحل أولها مرحلة الكتابة ثم مرحلة الجمع والتدوين وصولا إلى مرحلة التصنيف، وخلال ذلك وبعده نشأت علوم الحديث بمختلف أنواعها.

لقد كان علم التاريخ حاضرا في نشأة علوم الحديث وتدوين السنة وقد وثق لنا كل تلك المراحل بدقة وبين لنا تأثير الأحداث التاريخية على كل مرحلة كما وثق لنا الرحلة في طلب الحديث وكيف نشأت علوم الحديث والظروف المحيطة بنشأتها، لذلك كانت تلك العلاقة الوثيقة بين علوم الحديث والتاريخ.

المبحث الثالث

علاقة منهج الدراسة الموضوعية بالتاريخ

التاريخ مصدر المعرفة ومفتاح لدراسات الحديث الموضوعية وهو الأساس الذي تبنى عليه حضارة الإسلام، ومن خلاله تعرض السنة بطريقة معاصرة، وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من الحديث النبوي، فالأحاديث النبوية تضم في ثناياها أحداث تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تتصل من حيث أحداثها ووقائعها وطريقة نقلها بالتاريخ اتصالاً وثيقاً، بل من خلال التاريخ يتحدد موثوقية هذه الأحاديث وثبوتها من عدمه، فالأحاديث نصفها السند، والسند هو عبارة عن جملة الرواة الذين نقلوا لنا متن الحديث، لذا فالسند في واقعه عبارة عن خط تاريخي لرحلة الحديث وهي في طريقها إلينا، يتضمن هذا الخط رواة الحديث، فيأتي التاريخ لينقل لنا أحوال هؤلاء الرواة وحقيقة أحدهم بالآخر، وعلى أساس هذه الأحوال يحكم رجال الجرح والتعديل على كل راوٍ وصولا إلى الحكم على الحديث.

وتتعلق الدراسة الموضوعية للحديث بالتاريخ تعلقاً وثيقاً فهي تستخدمه ابتداءاً من نقد الأحاديث ومروراً بمعرفة وقت وسبب ورودها.

المطلب الأول: تأثير علم الحديث في علم التأريخ:

يعد علم الحديث من أعظم ما أنتج الفكر الإسلامي، وقد أثر في تطور كثير من العلوم الإسلامية تأثيراً كبيراً، فكان له الأثر في علم التاريخ، وتجلى هذا التأثير في مظاهر عدة منها الإسناد، وكتب التراجم، والتواريخ العالمية والعامة، والأنساب، والتواريخ المحلية[27].

[27] ينظر: معروف، د. بشار عواد، **ظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين**.: 22/5.

وفيما يخص الإسناد فقد كانت من العوامل التي أدت إلى ظهوره هو حرص رواة الحديث على دقته وضبطه وتحقيقه، ذلك أن المحدث الذي يسند الحديث مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشعر بالطمأنينة لعلمه أن الآخرين يشتركون معه في مسؤولية تحمل درجة صحة الحديث، ومن ثم فإن الحديث يكون في هذه الحالة أكثر قبولاً عند ا لناس نظراً لأهمية الحديث النبوي للمسلم، فالأحكام الشرعية متعلقة به.

ولما كان أغلب المؤرخين الأوائل محدثين ومشتغلين في الحديث وعلومه، ولما كان الاهتمام والعناية بعلم الحديث هو الذي أدى إلى الدراسات التاريخية لذلك انتقل الإسناد إلى أهل التاريخ وعلمائه بشكل واضح، ويبدو ذلك بشكل أكثر وضوحاً في كتب الطبقات والتراجم وتواريخ المدن وغيرها[28].

يبدو ذلك واضحاً عند مطالعة كتب التاريخ، فالمؤرخون اهتموا بالإسناد واستخدموا الصيغ التي استخدمها المحدثون، كما نقدوا الروايات التاريخية بطريقة تشبه طريقة نقد الحديث، فكانوا يقولون عن حادثة راويتها (كذاب) أو (مرسل)، ولهذا أمثلة كثيرة في تاريخ الطبري، منها:

((قال الطبري: قال لي محمد بن إسحاق الصاغاني: سمعت أبا قطن قال: قال لي شعبة: ما شيء أخوف علي أن يدخلني النار من الحديث، وكان شعبة من ساكني البصرة، وبها كانت وفاته في أول سنة ستين ومئة، وهو ابن خمس وسبعين سنة وبحر بن كنيز السقاء الباهلي ويكنى أبا الفضل، وكان من ساكني البصرة، وبها كانت وفاته في سنة ستين ومئة في خلافة المهدي، وكان ممن لا يعتمد على روايته.))[29].

وقول الطبري: ((وكان ممن لا يعتمد على روايته)) يشبه الصيغ التي يستخدمها المحدثون في نقدهم للروايات.

لكن يبقى الإسناد عند المؤرخين عند حد لا يبلغ حد الإسناد عند المحدثين، فالتساهل في الإسناد عند المؤرخين كبير وهو ما لا نجده عند أهل الحديث.

---

[28] ينظر: **المصدر نفسه**: 24-25.

[29] الطبري، ممد بن جرير، **تاريخ الطبري**، لمحمد بن جرير الطبري: 656/11

أما ما يخص تأثير علم الحديث على كتب التراجم والطبقات فيتجلى في نشوء هذا النوع من المؤلفات بسبب حاجة المحدثين إليها، فمن خلالها تعرف صحة الأسانيد بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم ودرجة صدقهم والوثوق بهم، والعصر الذي عاشوا فيه ودرجة حفظهم وضبطهم، ومن هذه المؤلفات كتاب الطبقات الكبير لابن سعد المتوفى سنة 230 هـ، وهو سجل للرواة من الصحابة نزولاً لمن جاء بعدهم.

المطلب الثاني: مراحل منهج الدراسة الموضوعية المتعلقة بالتاريخ:

تمر الدراسة الموضوعية لأي حديث بمراحل عدة حتى تتكامل وتظهر بالشكل الذي يحيط بالحديث من كل جوانبه ويظهره بطريقة تتفق والواقع المعاصر، وهذه المراحل منها ما يتعلق بعلم التاريخ تعلقاً وثيقاً، ويستخدم هذا العلم ومؤلفاته للوصول إلى النتائج المرجوة من كل مرحلة، وسأعرض هنا لهذه المراحل مبيناً صلتها بالتاريخ.

1. تنقية الأحاديث واعتماد المقبول منها:

تعد عملية تنقية الأحاديث من المهمات الشاقة التي يتوجب على دارس الحديث دراسة موضوعية فعلها، فدراسات الحديث الموضوعي لا تتعامل إلا مع الأحاديث المقبولة (الصحيح والحسن)، ولا مكان للحديث الضعيف في هذا النوع من الدراسات[30].

ومع أن هناك خلافا بين أهل العلم في الاحتجاج بالحديث الضعيف، والراجح من أقوالهم هو العمل به في فضائل الأعمال، ومع ذلك فالحديث الضعيف لا مكان له في الدراسات الموضوعية، لأن أغلب مواضيع هذه الدراسات تتعلق بعلوم إنسانية وتطبيقية أخرى كعلم النفس والاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية والتطبيقية، أما إذا تعلق الموضوع المراد البحث فيه بعلم الأخلاق والرقائق ففي هذه الحالة يدخل الحديث الضعيف في الدراسات الموضوعية على اعتبار أن الحديث الضعيف يحتج به في فضائل الأعمال.

ومن المعلوم أن تنقية الحديث تعتمد على التاريخ وتعده ركناً من أركانها، ذلك لأن دراسة إسناد الحديث تبدأ بالبحث عن الرجال الذين نقلوا لنا متن الحديث وما قيل فيهم وأحوالهم، ولا يوجد هنا غير التاريخ معينا على معرفة المتعاصرين من الناس، ويعين على التمييز بين الصواب والخطأ، كما يساعد

---

[30] ينظر: **الحديث الموضوعي**: 221.

على معرفة تاريخ رواة الحديث، من جهة وقت الطلب واللقاء، والرحلة والتنقل في طلب العلم، والاختلاط والتغير، وتاريخ الوفاة، وحال الراوي من ناحية صدقه وعدالته.

وتمر تنقية الأحاديث بمرحلتين الأولى مرحلة دراسة السند وتعتمد هذه المرحلة بكاملها على التاريخ كما تبين، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة دراسة المتن وقد وضع العلماء مقاييس لهذه المرحلة يتمثل أحدها بعرض متن الحديث على التاريخ.

فإذا كان في الحديث ما يدل على زمن وقوعه وكان ذلك مخالفاً للمعلوم سلفاً عند دارس الحديث من الزمن الحقيقي لتلك الواقعة حكم بعدم صحة الحديث كله[31].

وقد دأب علماء الحديث على عرض متون الأحاديث على الوقائع التاريخية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، أذكر منها:

قال الحافظ ابن كثير: ((قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر دعا بقوس فأتى بقوس طويلة وقال «جيئوني بقوس غيرها» فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبي صلى‌الله عليه وسلم الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزل‌الله عز وجل﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال:17] وهذا غريب وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم‌والله أعلم))[32].

نجد في هذا المثال استغراب للحديث على الرغم من جودة الإسناد، والسبب الوحيد هو تعارض المتن مع السياق التاريخي لوقت نزول الآية التي اتفق أغلب المفسرين على أن نزولها كان في غزوة بدر.

ومن الأمثلة التي تبين لنا قوة مقياس المحدثين لنقد المتون وغربلة هذه المتون عن طريق النظر في التاريخ، ما أخرجه الحاكم في مستدركه، ((شُعيب بن صَفْوانَ، عنِ الْأَجْلَحِ، عن سلَمَةَ بنِ كُهيلٍ، عن

---

[31] الدميني، د. مسفر عزام، **مقاييس نقد متون السنة**: 181.

[32] **التفسير**: 218/4.

حَبَّةَ بْنِ جُوَيْنٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «عَبَدْتُ اللَّهَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبع سنين قبل أَنْ يعبده أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ»[33]

رد العلماء هذه الرواية استنادا إلى التاريخ الثابت، وقد حكم عليه الإمام الذهبي بالبطلان، لأن النبي عليه الصلاة والسلام بعدما أوحي إليه آمن به مباشرة خديجة وأبو بكر وبلال وزيد بن حارثة وعلي رضي الله عنهم جميعا، كلهم في ومقت متقارب يسبق أحدهم الآخر بساعات أو أيام، فأين السنوات السبع من ذلك، وقد أورد ابن الجوزي هذه الرواية في الموضوعات[34].

2. أسباب ورود الحديث

إن من أهم مراحل دراسة الحديث دراسة موضوعية هي مرحلة التعرض لأسباب ورود الحديث، فمعرفة سبب ورود الحديث تعني معرفة الأحداث التاريخية المصاحبة للحديث والتي بسببها ورد الحديث، ووجه الحكمة الباعثة على تشريع حكم ما، ولا يمكن لدارس الحديث أن يتوصل لمعرفة مراد النبي صلى الله عليه وسلم بشكل دقيق دون معرفة الحدث ومعايشة جزئياته[35].

ويمثل سبب ورود الحديث البيئة التي ورد وظهر النص بسببها ومن أجلها، فيستدل بها على ما يريده المتكلم، مقدماً الفائدة للمجتهد في معرفة الواقع الذي تنزل النص عليه، ليقاس عليه ما كان مماثلاً له، وقد يكون الحكم الذي يبنى على الحديث ويترتب عليه مقتصرا على سبب ورود الحديث بما لا يفيد تعميمه، وبذلك يستثنى من القاعدة التي تقول: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[36]، وبه تعين مبهمات المتن التي لها تعلق بورود الحديث، إلى غير ذلك من الفوائد التي يقتنصها من اعتنى بمعرفة سبب ورود الحديث.

فعلى سبيل المثال حديث أَنَس رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْتُم أَعْلَم بِأَمْرِ دُنْيَاكُم»[37]، هذا الحديث إذا نظرنا إليه بعيدا عن معرفة سبب وروده لَن نصل إلى الفهم الصحيح له، بل

---

[33] الحاكم، مستدرك الحاكم، **كتاب معرفة الصحابة** رضي الله عنهم/باب ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، بالرقم (٤٥٨٥)، وعلق عليه الإمام الذهبي بقوله: ((وهذا باطل)): 121/3

[34] ينظر: الأدلبي، **منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي**: 355.

[35] ينظر: **الحديث الموضوعي**: 169.

[36] ينظر، الغزي، **موسوعة القواعد الفقهية**: 87/12.

[37] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم** ، كتاب الفضائل/باب بَاب وجوب امْتِثَال مَا قَالَه شَرْعًا، دُون مَا ذَكَره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مَعَايِش الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيل الرَّأْي بالرقم (2363): 1836/4، ونص الحديث في مسلم «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

إن هذا ما حصل بالفعل عندما استدل به بعضهم على نظرية فصل الدين عن الحياة العامة بدعوى أن النبي عليه الصلاة والسلام وجه الناس إلى تدبير شؤنهم العامة بعيدا عن نصوص وأحكام الشريعة الإسلامية، وعليه لا شأن للدين بأمور الاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرها من نواحي الحياة المهمة.

لكن قراءة الحديث قراءة صحيحه وفهمه في سياقه على ضوء السبب الذي أدى إلى وروده لتبين خطأ الفهم الذي وصلوا إليه، فقد ورد في مسند البزار عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: «مررت مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي نَخْلٍ فَرَأَى قَوْمًا فِي رءوس النَّخْلِ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: " مَا تصنعون أَو مَا يصنع هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: يَأْخُذُونَ من الذَّكر ويجعلون فِي الْأُنْثَى فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذَا يُغْنِي شَيْئًا فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَصَارَ شيصا، فَقَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَا يصلحكُمْ فِي دنياكم، وإني قُلْت لَكُم ظنا ظننته، فَمَا قُلْت لَكُم قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَنْ أَكْذب عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ و تَعَالَى»[38].

وبعد معرفة سبب ورود الحديث تبين أن السبب هو قضية تأبير النخل، والنبي عليه الصلاة والسلام قال ما قاله لهم من قبيل ظنه الذي عدل عنه بعد ذلك ولم يكن من قبيل الوحي الذي لا مجال فيه للخطأ والتراجع، وعلى هذا ففهم الحديث يختلف تماما عما ذهب إليه القائلون بفصل الدين عن نواحي الحياة استنادا إلى هذا الحديث.

وعن أسباب ورود الحديث قال الإمام الزركشي منوهاً لأهميته: "وهو من أهم أنواع علم الحديث، وإنما زل كثير من الرواة ووهموا لما لم يقفوا على ذلك، وقد ردت عائشة رضي الله تعالى عنها على الأكابر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ بسبب إغفالهم سبب الحديث"[39].

وقد يتصور أنَّ العناية بهذا النوع لا طائل من ورائها؛ لأن الأصل هو عموم اللفظ لا خصوص السبب، وقد أجاب عن ذلك الإمام الزركشي بقوله:" فإن قيل: أي فائدة لهذا النوع مع أن العبرة

وسلَّم مرَّ بقوم يُلقّحون، فقَالَ: «لَو لَم تَفْعلُوا لَصلُح» قَالَ: فَخرج شيصًا، فَمرَّ بهم فَقَالَ: «مَا لنخلكُمْ؟» قَالُوا: قُلْت كَذَا وكَذَا، قَالَ: «أَنْتُم أَعلم بِأَمْر دنياكم»

[38] البزار، أبو بكر، البزار، البحر الزخار، حققه محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم/المدينة المنورة، مسند طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ/باب ومِمَّا روى مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيه طَلْحَةَ بالرقم (937):3/152.

[39] الزركشيَ، بدر الدين محمد بن جمال الدينَ، **النكت على مقدمة ابن الصلاح**: 70-71.

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؟ قيل: فائدته عدم تخصيص محل السبب، أو فهم المعنى من السياق كما في حديث ((ولد الزنا شر الثلاثة)) أو غير ذلك"[40].

والحديث الذي ذكره الإمام الزركشي، هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((وَلَدُ الزِّنَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ))[41].

فالحديث بهذا اللفظ يعارض أصلاً عظيماً من أصول هذا الدين، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164] . وقد صوَّر الإمام الطحاوي هذا الإشكال: "فتأملنا هذا فوجدناه مطلقاً على جميع أولاد الزنا، موجباً أن كلا أولاد الزنا شر من أمهاتهم، وممن حملن بهم منه من الزانين بهن، وقد كان الزنا من أمهاتهم ومن الزانين بهن اختياراً منهم له، وكان أولادهم براء من ذلك، فسأل سائل فقال: كيف يكون أولاد الزنا الذين لا أفعال لهم في الزانين ممن هم منه ممن كان منه الزنا، وأعظم ذلك، فكان جوابنا له أنَّ أبا هريرة نقل عنه هذا الحديث لما ذكرنا، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها إنكارها ذلك عليه، وإخبارها أن النبي عليه السلام، إنما كان قصد بذلك القول إلى إنسان بعينه لمعنى كان فيه يبين به عن سائر أولاد الزناة"[42].

وقد اتجه نظر أهل العلم إلى معرفة السبب الذي ورد الحديث من أجله، وقد أورد الإمام البيهقي أسباباً لصرف هذا الحديث عن ظاهره فقال: "فقد روينا عن السفر بن نسير الأسدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال:((ولد الزنا شر الثلاثة إن أبويه أسلما ولم يسلم هو))، وروينا عن الحسن أنه قال :(إنما سمي ولد الزانية شر الثلاثة؛ لأن أمه قالت له: لست لأبيك الذي تدعى به، فقتلها فسمي شر الثلاثة)، وروينا عن سفيان الثوري أنه قال:(يعني إذا عمل بعمل والديه)، وروي ذلك في حديث عائشة وابن عباس مرفوعاً ورفعه ضعيف، وروى سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:((لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إليَّ من أن أعتق ولد الزنا)) وأن رسول اللهﷺ قال:((ولد الزنا شر الثلاثة))... فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة ساء سمعاً فأساء إجابة؛ لأن أمتع بسوط في سبيل الله

---

[40] **المصدر نفسه**.

[41] أبو داود، السجستاني، سنن أبي داود، حققه وعلق عليه ناصر الدين الألباني، دار الكتاب العربي/بيروت، كتاب العتق/باب في عتق ولد الزنا بالرقم (3963)، وقد حكم عليه الألباني بقوله: ((صحيح)): 29/4.، للحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب العتق/باب وأما حديث واثلة، بالرقم (2855) قال الإمام الذهبي عن أحد رواته وهو سلمة بن الفضل: ((سلمة لم يحتج به مسلم وقد وثق وضعفه ابن راهويه)):234/2.

[42] شرح مشكل الآثار(366/2).

أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا أنها لما نزلت ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: 11-13]، فقيل: يا رسول الله ما عندنا ما نعتق إلا أن أحدنا له الجارية السواد الخدمة، وتسعى عليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بأولاد فأعتقناهم. فقال رسول اللهﷺ:((لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن آمر بالزنا ثم أعتق الولد))، وأما قوله:((ولد الزنا شر الثلاثة))، فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول اللهﷺ فقال:((من يعذرني من فلان؟)). قيل: يا رسول الله مع ما به ولد الزنا؟ فقال:((هو شر الثلاثة))"[43].

وهذه الأسباب التي أوردها الإمام البيهقي رحمه الله تؤكد أهمية الوقوف على سبب ورود الحديث؛ وأثرها في فهم الحديث فهماً صحيحاً، وصرف دلالته عن الظاهر المخالف لأصول شرعية.

وفي هذا المثال تأكيد على أن الصحابة كانوا يعتمدون سبب ورود الحديث في معرفة معناه، فإنَّ عائشة رضي الله عنها استدلت بسبب وردود الحديث في توجيه ظاهر رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

3. معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه

إن من مراحل دراسة الحديث دراسة موضوعية، مرحلة معرفة ناسخ الحديث من منسوخه وهي مرحلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم التاريخ، فالنسخ في الحديث الشريف يعرف بإحدى أربعة طريق، فإما أن يصرح النبي صلى الله عليه وسلم وإما أن يصرح الصحابي بذلك أو بدلالة الإجماع أو من خلال التاريخ، وهو ما يخص موضوع البحث، ومثاله حديث شداد بن أوس، أن رسولَ الله -صلَّى الله عليه وسلم- أتى على رجلٍ بالبقيعِ، وهو يحتجم، وهو آخذٌ بيدي لثمان عشرةَ خلَتْ من رمضان، فقال: "أفطَرَ الحاجِم والمحجومً"[44]، هذا الحديثَ الذي نسخَ بحديث ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «احتجم رسولُ الله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وهو مُحْرِمٌ صائمٌ»[45].

ومن خلال مراجعة التاريخ نعلم أن ابن عباس صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم في زمن الفتح وحجة الوداع فحديث ابن عباس متأخر عن شداد لذا فهو ناسخ له، ولولا التاريخ لما عرفنا ذلك.

---

[43] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، **كتاب الشهادات**/باب شهادة الشعراء، بالرقم (20236): 343/14.

[44] أبو داود، السجستاني، سنن أبي داود، **كتاب الصوم**/باب في عتق ولد الزنا باب الصائم يحتجم بالرقم (2369): 48/4.

[45] الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير**، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي/بيروت، لسنة 1998م، كتاب أبواب الصوم/ باب ما جاء من الرُّخْصة في ذلك بالرقم (775) :138/2

4. إسقاط محتوى الحديث على الواقع

يعالج منهج الدراسة الموضوعية للحديث الواقع المعاصر بل ويعمل على صنع واقع يدعو الناس إليه ويحملهم عليه، ويمدنا التاريخ بحلول للمشكلات التي تعترض حاضرنا، كما أنه يعين على فهم الواقع، فدراسة الماضي تكسب الإنسان خبرة السنين الطويلة، على الرغم من حياته القصيرة، ومن يقرأ ويتدبر التاريخ فكأنما عاش العمر كله واعتبر بقصص من سبقه.

إن في التاريخ تطبيقا عمليا للأحكام والمعاملات التي تضمنتها أحاديث النبي صلى‌الله عليه وسلم، وهو سجل حافل لمآثر السلف، وهو الذي يربط القديم بالحديث، والحاضر بالماضي، وفي إسقاطنا التاريخ على الواقع نعرض ونبين أمورا لا يمكن لحياة المسلمين أن تستقيم بغيرها، كأمور العقيدة، والفقه، والأخلاق، والمعاملات، وأمور من الأحكام.. ونعرض كذلك لفقه الواقع.

هذا ما علمنا إياه خالقنا عز وجل في كتابه الكريم، فهو جل وعلا يقص القصة، ويظهر فيها الحجَّة التي تقنع العقل، ثم من خلال تلك القصة يظهر الرقيقة التي تلامس قلوبنا، وربما يظهر فيها جانب عقائدي، أو حكم عملي فقهي، ثم يربط القديم بالجديد، والتاريخ بالواقع المعاصر، والماضي بالحاضر، فتشعر أ ن التاريخ ككائن ينبض بالحياة، ولسانٌ ناطق، يصل إلى مرحلة تكاد تجزم فيها أنه لا يحدثنا عن أناس رحلوا، ولا يحدثنا عن بلاد غابت في التاريخ السحيق، بل هو يحدثنا عن واقع أحداثنا، وينقل لنا أخبارها[46].

إن التاريخ الذي ضمه حديث النبي صلى‌الله عليه وسلم ثروة عظيمة تتطلب بذل الوسع والجهد والوقت، وحشد الطاقات، لاستخراجها وعرضها والانتفاع بخيرها، فالنبي صلى‌الله عليه وسلم واجه وأصحابه كل أشكال المعضلات والمحن والصعاب والمآزق، كما أنهم واجهوا الكثير من الأعداء، وواجهوا انتصارات وعمهم خير كثير، وقد أنتج ذلك تجارب هائلة وكبيرة حوت في ثناياها ما واجهته البشرية على مدار تاريخها الطويل.

إن تاريخنا الإسلامي أعظم وأدق تاريخ عرفه الناس، وسعدوا به... فهو تاريخ أمة صالحة طائعة لربها آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر تدعو إلى الخير وتحارب الشر.

---

46 السرجاني، راغب، **بين التاريخ والواقع**: 3/2.

إن تاريخاً حوى حضارة جمعت كل مجالات الحياة في أروع وأرقى نظام أخلاقي وسياسي واجتماعي واقتصادي لا بد من اسقاطه على الواقع المعاصر لننعم بما نعم به أسلافنا، ونتقدم ونرتقي على غيرنا من الأمم، والدراسة الموضوعية للحديث حملت هذا الهدف على عاتقها.

الخاتمة

ختاماً أعرض أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:

- البحث من خلال منهج الدراسة الموضوعية للحديث في موضوع ما، إنما يعني البحث في مجموعة من العلوم، ومن بين هذه العلوم وأهمها علم التأريخ.
- تعمل الدراسة الموضوعية للحديث على عرض التاريخ النبوي الذي كان وفقاً لمرادالله، من خلال طرحه بطريقة سلسلة تلامس حياة الناس وواقعهم المعاش.
- نشأ التاريخ عند المسلمين في أحضان علماء الشرع من محدثين وفقهاء ومفسرين، وقد كان التاريخ والحديث شيئاً واحداً.
- وتتعلق الدراسة الموضوعية للحديث بالتاريخ تعلقاً وثيقاً فهي تستخدمه ابتداءاً من نقد الأحاديث ومروراً بمعرفة وقت وسبب ورودها وصولاً إلى معرفة السيرة النبوية التي تمثل حقبة معينة من التاريخ وعلاقتها به علاقة الجزء بالكل.
- تمر الدراسة الموضوعية لأي حديث بمراحل عدة حتى تتكامل وتظهر بالشكل الذي يحيط بالحديث من كل جوانبه ويظهره بطريقة تتفق والواقع المعاصر، وهذه المراحل منها ما يتعلق بعلم التاريخ تعلقاً وثيقاً.
- أن تنقية الحديث تعتمد على التاريخ وتعده ركناً من أركانها.

والحمد لله رب العالمين وصلىالله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

1. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حققه مصطفى ديب البغا، بيروت/دار ابن كثير، ط/3 لسنة 1987م.
2. البزار، أبو بكر البزار، البحر الزخار، حققه محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم/المدينة المنورة/ ط/1 لسنة 2009م.
3. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، حققه سيد كسروي حسن، بيروت/دار الكتب العلمية.
4. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت/دار المعرفة لسنة 1379 هـ ..
5. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، حققه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي/بيروت، لسنة 1998م
6. الحاكم، أبو عبدالله محمد النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، حققه مصطفى عبد القادر عطا، بيروت/دار الكتب العلمية، لسنة 1990م.
7. الأدلبي، صلاح الدين أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، مؤسسة اقرأ/القاهرة، لسنة 2013.
8. الدميني، د. مسفر عزام، مقاييس نقد متون السنة، السعودية ط/1، لسنة 1984م.
9. الزركشي، بدر الدين محمد بن جمال الدين، النكت على مقدمة ابن الصلاح، حققه زين العابدين بن محمد، الرياض/دار أضواء السلف ط/1، لسنة 1998م.
10. الزيان، د. رمضان، الحديث الموضوعي دراسة نظرية، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني، سنة 2002م، المجلد العاشر.
11. السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود، حققه وعلق عليه ناصر الدين الألباني، بيروت/دار الكتاب العربي.
12. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، بيروت/مؤسسة الرسالة ط1، لسنة 1986م.
13. السرجاني، د. راغب، بين التاريخ والواقع، منشور على موقع الاسلام اليوم الالكتروني.
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الكويت/جمعية إحياء التراث الإسلامي لسنة 2003م.

15. الشرمان، د. خالد محمد محمود، الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، عمان/دار الفرقان، ط/1 لسنة 2010م.
16. الصمدي، رضا أحمد، منهج المحدثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم، بحث منشور في مكتبة العصبة الهاشمية الالكترونية http://ebooks.hashemitekinsmen.com.
17. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، بيروت/دار التراث، ط/2، لسنة 1387 هـ..
18. الغزي، محمد صدقي أبو الحارث، موسوعة القواعد الفقهية، بيروت/مؤسسة الرسالة، 2003م.
19. الفرماوي، د. عبد الحي، البداية في التفسير الموضوعي.
20. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت/دار المعرفة، ط/2 لسنة 1982م.
21. مرغليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، لمرغليوث، ترجمة حسين نصار، بيروت/دار الثقافة.
22. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت/دار إحياء التراث العربي
23. مسلم، د. مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي.
24. معروف، د. بشار عواد، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، بحث في مجلة الأقلام، سنة 1384هـ..